

هذا المقال مأخوذ من ن ص طويل موجود في كتاب (الحيوان)، يتحدث الجاحظ فيه عن فضل الكتاب وأهميته ، حيث وصف الكتاب وعبّر عن إعجابه به، وفضائله التثقيفية والترفيهية، وغرضه من ذلك الإقناع بأهمية الكتاب، فخير فما طيَّب القراء! جَمَلٌ أَلْوَقَاتُ الَّذِي نَقَضِيهِ فِي وَهْمِ السَّاعَةِ الَّتِي نَمُضِيهَا فِي الطَّالِعِ عَلَى وَتَتَسَّعُ الثَّقَافَاتُ، مِثْلَ الْكُتُبِ، - ل مِنْ مِصَاحِبَتِهِ. مِنْ أَجْلِ هَذَا نَجِدُ الْجَاحِظَ قَدْ وَصَفَ الْكِتَابَ وَأَبْدَعَ فِي تَصْوِيرِهِ ، وَنَعَمَ الصَّاحِبُ. رَغْبَاتِكَ، وَيَمْتَعُكَ بِالْمُفِيدِ مِثْلَ الْكِتَابِ ، وَفَائِدَةٌ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ. وَالْكِتَابُ يَجْمَعُ بَيْنَ التَّثْقِيفِ وَالتَّرْفِيهِ، فَهُوَ كَالْوَعَاءِ الَّذِي أَمْتَأَلُ بِالْعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، حَيْثُ تَجِدُ فِيهِ الْحِكْمَةَ وَالحَدِيثَةَ، وَالمَوَاعِظَ البَلِيغَةَ النَبِيلَةَ. وَإِنْ أَرَدْتَ الْفِكَاهَةَ وَالنَّوَادِرَ فَسْتَجِدْهَا فِي الْكِتَابِ أَيَّ ضَا، وَقَدْ لَجَأَ الْجَاحِظُ إِلَى ضَرْبِ الْمِثْلِ لِيَدُلَّ عَلَى كَالِمِهِ، وَالمَعْنَى: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْفِكَاهَةِ وَالمَرِحِ فِي الْكِتَابِ فَسْتَجِدْهَا، حَتَّى صَارَ فِي حِمَاقَتِهِ وَسَدَاجَتِهِ، يَضْرِبُ بِهِ الْمِثْلَ فِي الْعِجْزِ عَنِ الْإِبَانَةِ عَمَّا فِي النَفْسِ، فَيَقَالُ: أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ. فَسْتَجِدُ أَنْ الْكِتَابَ أَفْصَحَ وَأَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانَ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ مِنْ خُطْبَاءِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَيْثُ يَضْرِبُ بِهِ الْمِثْلَ فِي وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَوَاعِظَ فَسْتَجِدُ فِي الْكِتَابِ أَجْمَلَ الْمَوَاعِظِ الَّتِي تُثْرِيكَ وَتَنْفَعُكَ. مَأْمُونُ الْجَانِبِ، فَالْكِتَابُ الْمُفِيدُ جَلِيسٌ صَالِحٌ، مَعْلَمٌ خَاضِعٌ لِطَالِبِهِ، وَمَا يَعُودُ بِهِ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ مَجَاوِرَتِهِ، قَرَأَ وَتَرَوَّضَ نَفْسَكَ عَلَى الطَّالِعِ وَالبَحْثِ أَيْ أَتَكَ، وَالمَطَالَعَةَ مُحِبًّا وَخَالِصَةً الْقَوْلِ: إِنْ مِنْ أَهْمِ الْقِيَمِ وَالثَّمَارِ الَّتِي يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ عِنْدَ، مَجَالِسَةِ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ تَتَمَثَّلُ فِي - 1 اِكْتِسَابِ الصَّدَاقَةِ الْحَقِيقِيَّةِ